

# الإمام المصلح والداعية المجدد

## الشيخ عبد الحميد بن باديس

### رائد الحركة الاصلاحية الاسلامية

#### في العصر الحديث

أ. د. أحمد عيساوي

جامعة باتنة - الجزائر

ظروف عصره:

يمكن وصف الحقبة، التي ولد فيها الشيخ عبد الحميد بن باديس ونشأ وعاش ودعا فيها إلى الله، بأنها أظلم حقبة مررت بالجزائر العربية المسلمة طيلة وجودها الرسالي في تاريخ الحضارة الإنسانية، بعد أن مضى على الوجود الاستعماري في الجزائر قرابة القرن، وأيقنت فرنسا أنَّ الجزائر قد آلت إليها وإلى الصليبية العالمية للأبد، وأنَّه لن تقوم لها قائمة بعد القرن العشرين في سماء العربية والإسلام.

وابتدأ عهد جديد، تمثل في ظهور جيل جديد من العلماء والمثقفين والسياسيين، يرى في مهادنة الاستعمار أسلوبًا دبلوماسيًا حديثًا، ونمطًا جديدًا للحفاظ على الرمق الأخير من حصون العربية والإسلام المتبقية في الجزائر، وهو الجيل الذي تخلَّ عن الثورة والانتفاضة والكفاح المسلح بوصفها وسيلة وحيدة لتحرير الجزائر: لاشتداد

فقد مضى على آخر ثورة شعبية مسلحة في الجزائر قرابة ربع قرن<sup>(١)</sup>. وكان قد انتهى عهد الثورات المسلحة والانتفاضات الكبرى - عدا انتفاضة الشيخ بوعمامه وأولاد سيدي الشيخ - وابتدأ عهد جديد، جيله يخالف جيل الثورات والانتفاضات العنيفة، الذي تميز بشراسة رجاله ومقاومتهم البطولية.

وأمّه السيدة زهيرة بنت علي بن جلول، من أسرة فاضلة مشهورة، من أعيان قسنطينة أيضًا<sup>(٢)</sup>.

بدأ ابن باديس حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد المدارسي، وأتم حفظه، وهو ابن ثلاث عشرة سنة. ومن شدة إعجاب المؤدب بذكائه، وسيرته الطيبة، قدمه ليصل إلى الناس صلاة التراويح ثلاث سنوات متتابعة في الجامع الكبير بقسنطينة<sup>(٣)</sup>.

ثم سلمه والده إلى الشيخ حمدان الونيسي (ت ١٩٢٠ م - ١٤٢١ هـ)، في سنة ١٩٠١ م - ١٣١٩ هـ، فدرسه مبادئ اللغة العربية والعلوم الدينية، وحفظ على يديه متون اللغة، والنحو، ودرر الشعر العربي، وعيون البيان، وسائر المتون الدينية في الفقه، والأصول، والفرائض، والعقائد، والحديث، وظل ملازمًا له حتى بعد زواجه يطلب العلم عنده إلى حين هجرة أستاذه مكرهاً من قسنطينة إلى بلاد الحجاز متبرمًا من سياسة فرنسا الاستعمارية تجاه الجزائريين، ورغم ابن باديس أن يهاجر مع شيخه، ولكن والده منعه من ذلك<sup>(٤)</sup>.

ولما بلغ الخامسة عشرة زوجه والده، فأنجب مولودًا سماه محمد عبد إسماعيل، محبة في الشيخ محمد عبد<sup>(٥)</sup>.

ولما منعه والده من الهجرة مع شيخه حمدان الونيسي إلى الحجاز أذن له أن يهاجر إلى تونس؛ ليتبع تعليمه العالي بجامعة الزيتونة المعمور، فقصده سنة ١٩٠٨ م - ١٤٢٥ هـ، وسنة تسعه عشر عاماً، وفي جامعة الزيتونة أخذ سائر العلوم العربية والدينية على يد أكابر العلماء، من أمثال: الشيخ محمد النخلي القيررواني (ت ١٣٤٢ هـ ١٩٢٤ م)<sup>(٦)</sup>، والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (١٢٩٦ -

سيطرة القمع الاستعماري وقهره الشعوب من جهة، ولاستكمال الدورة السننية بانبعاث جيل من الشائرين المستنيرين المقتنيين بالاستقلال، والحرية من جهة أخرى. لكنه - مع سلميته وثقافته ووطنيته - ظل وفياً لماضي الآباء والأجداد التليد، الذين هم، في يقينه واعتقاده، رجال القيم والحق والإسلام، وهم خيرة المجاهدين، وأنهم النموذج المثالي الدنيوي والأخروي، وأن الرقي والكرامة لا تمثل إلا باتساع منهجهم الجهادي.

هذا الجيل يتميز عن الأجيال اللاحقة له بكونه يحمل تصورات الجيل الجهادي السابق، وقيمه ومبادئه وأصالته، ولكنه يختلف عنهم في كثير من المقومات، منها ما هو واقعي، يعود لمرور مدة طويلة على الوجود الاستعماري القمعي الجاثم على الجزائر، ومنها ما هو اجتماعي وتربوي، يتمثل في انعدام جيل التغيير، الذي سيحتضن الفكرة المقدسة، وبهـ لإشعال نار الثورة، ومنها ما هو سنني حضاري، يستدعي استكمال الدورة السننية الكافية للتغيير الإسلامي، وغيرها من العوامل...

ومن هذا الجيل الحركي الفاعل - الذي ولد في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، الرابع عشر للهجرة - كان الإمام والداعية المصلح، مجدد العصر الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإصلاحية الإسلامية الحديثة في الجزائر.

#### مولده ونشأته وتعلمه

ولد الشيخ عبد الحميد بن محمد المصطفى ابن مكي بن باديس في شهر ربيع الآخر من سنة ١٣٠٨ هـ الموافق يوم ٤ ديسمبر ١٨٨٩ م بقسنطينة، في أسرة عريقة مشهورة بالعلم والجاه والثراء،

الرغم من طول باعه في العلوم الشرعية والערבية - عارضه بقوة، وسبب له الكثير من المشكلات تنفيذاً للسياسة الاستعمارية التي كانت تُعمل، مسبباً نوعاً من التغير لمشروعه الإصلاحي في بدايته، ففكر في الهجرة من جديد، واستأذن والده في الحج فأذن له في موسم ١٣٢١هـ / ١٩١٣م، ونزل المدينة المنورة عازماً على الحج والهجرة معاً، وهناك التقى شيخه الأول حمدان الونيسي، والشيخ حسين أحمد الهندي المدنى، والشيخ الوزير التونسي، كما التقى علامة الجزائر وأديبها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الذي تذكر معه مدة أربعة شهور كاملة أوضاع الجزائر خاصة والعالم الإسلامي عامة في ظل موجة الانتفاضة والحديثة والاستعمار الصليبي الجديد<sup>(١١)</sup>.

وقد وصف الشيخ البشير لقاءاته الشيخ عبد الحميد بن باديس الإصلاحية المثمرة بقوله: «... كنا نؤدي فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوى، ونخرج إلى منزلى، فنتمر مع الشيخ ابن باديس منفردين إلى آخر الليل حين يفتح المسجد، فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح، ثم نفترق إلى الليلة الثانية، إلى نهاية ثلاثة الشهور التي أقامها الشيخ بالمدينة المنورة. كانت تلك الأسمار كلها تدبرأً للوسائل التي تنهض بها الجزائر، ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضات الشاملة، التي كلها صور ذهنية تترى في مخيلتنا، وصحبها من حسن النية وتوفيق الله ما حققها في الخارج بعد بضع عشرة سنة، وشهد الله على أن تلك الليالي من سنة ١٩١٣م، هي التي وضفت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي لم تبرز للوجود إلا في سنة ١٩٣١م...»<sup>(١٢)</sup>.

الصادق النيفر، وعثمان بن الخوجة، وحمدان المحرضي، والبشير صقر، ومحمد الخضر حسين، وبلحسن النجار، ومحمد بن القاضي...<sup>(٨)</sup>، وظل به طالباً للعلم إلى سنة ١٩١٢م، حيث تخرج فيه يحمل شهادة التطوع، وهي أعلى شهادة جامعية تمنحها الجامعة الزيتونة، ودرّس فيه سنة واحدة ١٩١٣م، على عادة الطلبة المتخرجين فيه، قبل أن يعود إلى قسنطينة في آخر السنة نفسها، حيث يزاول الطلبة المتخرجون التدريس فيه؛ مدة سنة بعد تخرجهما؛ ليتدرّبوا على فنون التعليم وطرقه<sup>(٩)</sup>.

وفي تونس شهد ابن باديس بواحد النهضة التونسية الحديثة، التي كان الشيخ النحلي القيرواني، والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رائديها الدينيين، وكان من روادها السياسيين: محمد باش حانبة، وعبد العزيز الزاوش، وعبد العزيز الثعالبي، ومحمد خزندار...، كما حضر أحداث المظاهرات التونسية ردّاً على احتلال إيطاليا لليبيا سنة ١٩١١م، ومظاهرات التونسيين الشهيرة لتأييد الدولة العثمانية في حوادث البلقان سنة ١٩١٢، كما شهد النهضة الأدبية والصحفية والفكرية التي عاشتها تونس في تلك السنوات الأربع<sup>(١٠)</sup>.

وبعد عودته من الزيتونة في أواخر سنة ١٣٢١-١٩١٣م بدأ يدرس في قسنطينة كوكبة من طلاب العلم، الذين شكلوا بعدها نواة الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر في منتصف الخمسينيات، ولكن مفتينها المعين من قبل الإدارة الاستعمارية، الشيخ المولود بن الموهوب، غفر الله له، وعلى

والمساجد من سنة ١٩١٤م إلى أن تكونت نخبة من خيرة الطلبة على يديه<sup>(١٧)</sup>.

#### عوامل تبوئته:

يمكن إجمال عوامل تكوين الشيخ عبد الحميد ابن باديس ونبوغه في العناصر الآتية:

- ١- نشأته في أسرة فاضلة حرصت على تحفيظه القرآن الكريم مبكراً.
- ٢- طلبه علوم الشرع على يد خيرة العلماء، منهم الشيخ حمدان الونيسي، ومحمد النحلي القيرواني.
- ٣- رحلته لطلب العلم بجامع الزيتونة، وتدرسيه عاماً كاملاً فيه.
- ٤- معاصرته للأحداث التاريخية الجسيمة التي عصفت بالعالم عامة وبالامة الإسلامية خاصة.
- ٥- رحلته إلى المشرق العربي والحج، والتقاوئه خيرة علماء الشرق الإسلامي.
- ٦- تأثيره بالحركة الصحفية والإعلامية في المشرق العربي ولا سيما العروة الوثقى، ومجلة المنار، التي طلب علماء الجزائر من السيد محمد رشيد رضا (ت ١٩٣٦م)، عدم التعرض فيها لسياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر حتى لا تمنع دخولها إليهم؛ لأنّها هي المدد لأرواحهم، وهي التي تصلهم بروح الشرق.
- ٧- تأثير سياسة القمع الاستعماري فيه، وتأثيره من حال الشعب الجزائري المزري.
- ٨- احترامه منهج شيخيه الونيسي والقيرواني ووصيتهما؛ إذ قال فيهما: «وأذكر منهم رجلين،

وفي المدينة المنورة كان قد أبدى رغبته بالبقاء فيها أمام الشيخ أحمد الهندي المدني، فتصحّه - لما توسم فيه إمارات النجابة، والذكاء، والإخلاص لدينه ولغته - بأن يعود إلى وطنه الجزائر، الذي هو بحاجة ماسة إلى دعوته، وعلمه، ونشاطه، وقال له: «... ارجع إلى وطنك يابني، فأمثالك هنا كثير يغدون عنك، ويقومون مقامك، ولكنهم في وطنك قليل، وخدمة الإسلام هنالك أجرد بك وأنفع له من بقائك هنا».

ولما عزم على الرجوع أخبره شيخه حمدان الونيسي أنه سيرخص له في التدريس، وأخذ عليه العهد ألا يتولى الوظيف، ولا يطلب بعلمه الرغيف، ولا يتخذ منه سلماً لأغراضه الدنيوية... فعاشه، وعاد إلى الجزائر ماراً بمصر والشام ولبنان<sup>(١٨)</sup>.

#### تطوراته إلى الخطر

عملت نصيحة الشيخ حسين أحمد الهندي رحمه الله في ابن باديس عملها، وقرر العودة إلى الجزائر بعد أن تدرس مع الشيخ البشير الإبراهيمي وضعها الأليم، وظروفها الصعبة، ولما دعّ أستاذه حمدان الونيسي أعطاه كتاباً إلى الشيخ محمد بخيت المطيعي، مفتى الديار المصرية<sup>(١٩)</sup>، فنزل مصر، وذهب إليه، وأعلمته بأنه جاء من قبل الشيخ حمدان الونيسي، فقال له: «ذاك رجل عظيم»، ثم أجازه للتدريس في علوم الشرع، ومنها عرج على الشيخ أبي الفضل الجيزاوي في الإسكندرية فأجازه أيضاً<sup>(٢٠)</sup>.

ثم عرج على سوريا ولبنان، وعاد إلى الجزائر، وباشر عمله التربوي والتعليمي في قسنطينة ربيع ١٢٣٢هـ - ١٩١٤م، وظل يعلم الصبيان في الكتاتيب

- والدعوي، الذي يتدرج وفق الإطار الزمني الآتي:
- مرحلة النشأة وال التربية والتكيّن ١٣٠٨ -
  - . ١٩١٣-١٨٨٩ / ١٢٣١ هـ.
  - مرحلة التأسيس التربوي التعليمي والصحفي والدعوي ١٣٢١-١٣٤٧ / ١٩١٢-١٩٢٨ هـ.
  - مرحلة تأسيس جمعية الإخاء العلمي سنة ١٩٢٤ هـ / ١٢٤٣.
  - مرحلة تأسيس جماعة الرواد ورئاستها ١٩٢٨ هـ / ١٢٤٧.
  - مرحلة رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومجلسها الإداري ١٩١٣ م - ١٩٤٠ م.

بعد عودة العالمين الجليلين من الحجّاج قطبي الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر الحديثة، الشيخ محمد الطيب العقبي، والبشير الإبراهيمي ١٣٢٨ هـ / ١٩٢٠ م، تبلور الرأي الإصلاحي أخيراً لدى الشيخ ابن باديس على ضرورة توحيد الجهود في إطار العمل الجمعي، وتأسيس جمعية دينية قوية، تطلع بالعمل الإصلاحي الإسلامي في الجزائر: لمواجهة المخططات الاستعمارية ضد الشعب الجزائري الأعزل، ومن أهم هذه المخاطر:

- ١- فساد الطرق الصوفية، ونشرها، وترويجها للبدع، والخرافات والأوهام، والأباطيل الطرقية بين صفوف الشعب الجزائري، وتواطؤها البشع مع الإدارة الاستعمارية؛ لاستغفال الشعب الجزائري.
- ٢- محاولة إيقاف مذكرة التبشير والتنصير بين أبناء الشعب الجزائري، التي تستغل ظروفه

كان لهاما الأثر البليغ في تربتي، وفي حياتي العملية حمدان الونسي القسنطيني، نزيل المدينة المنورة ودفنه، وثانيهما الشيخ محمد النخلة القيرواني المدرس بجامع الزيتونة المعمور، رحمهما الله.

وإني لأذكر للأول وصية أوصاني بها، وعهداً عهد به إلى، وأذكر أثر ذلك العهد في نفسي، ومستقبلِي، وحياتي، وتاريخي كلّه، فأجددني مدیناً لهذا الرجل بمنة، لا يقوم بها الشكر، فقد أوصاني وشدد على أن لا أقرب الوظيف ولا أرضاهما ما حبّيت، ولا أتخذ علمي مطية لها، كما كان يفعله أمثالِي في ذلك الوقت. وأذكر للثاني كلمة لا يقلُّ أثراً في حياتي العلمية عن أثر تلك الوصية في حياتي العملية...»<sup>(١٧)</sup>.

- ٩- عودة فئة من العلماء الجزائريين من الزيتونة، ومن المشرق العربي، منهم: محمد الطيب العقبي، والبشير الإبراهيمي، وأبو على سعيد الزاوي، والعربي التبسي، والمولود الحافظي الأزهري، ونعميم النعيمي، ومحمد خير الدين، ومحمد السعيد الزهراوي..<sup>(١٨)</sup>.

لا يمكن الفصل - عملياً - بين جوانب شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس لأسباب عديدة؛ لأنَّ شخصيته ثرية الأبعاد، وتحرك على عدة مستويات؛ فهو المربى، والمعلم، والكاتب، والخطيب، والداعية، والمصلح، السياسي... ومن ثم لا تنفصل شخصيته الدعوية الإصلاحية عن شخصيته التربوية، أو التعليمية، أو السياسية...

ومن هنا يمكن تقسيم نشاط الشيخ عبد الحميد بن باديس - رحمة الله - الإصلاحي

ومجلة الشهاب<sup>(٢١)</sup>، ثم من بعدها جريدة (السنة النبوية) سنة ١٩٣٠ هـ / ١٩٢٢ م: لتكون اللسان الناطق باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وسرعان ما عطلتها الإدارة الاستعمارية بعد صدور ثلاثة عشر عدداً منها<sup>(٢٢)</sup>. ثم من بعد توقفها أيضاً صحيفة (الشريعة)<sup>(٢٣)</sup>. وبعد توقفها أيضاً جريدة (الصراط السوي)<sup>(٢٤)</sup>، ثم صحيفة (البصائر)<sup>(٢٥)</sup>. وبعد وفاة الشيخ ابن باديس عادت البصائر للصدور من جديد، بإشراف لجنة متخصصة منبثقة عن مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تسمى لجنة البصائر<sup>(٢٦)</sup>. وظل نشاط الجمعية كذلك إلى أن حلّت نفسها في شهر جانفي ١٩٥٦ م.

#### وسائله الدعوية والإصلاحية:

تنوعت أساليب الشيخ عبد الحميد بن باديس الدعوية والإصلاحية، حيث لم يترك وسيلة ناجحة، يستطيع أن يوصل بها الوعي والهدى للناس، إلا طبقها، ويمكن حصر وسائله الدعوية والإصلاحية في الوسائل الآتية:

١- التربية والتعليم وإنشاء المدارس.

٢- الخطب والدروس الدينية والمواعظ، وإنشاء المساجد الحرة.

٣- البعثات العلمية للمشرق وبخاصة إلى الزيتونة والقرويين.

٤- الكتابة وإنشاء الصحف والمجلات.

٥- تأسيس الجمعيات الوطنية والمحليّة.

٦- عقد المؤتمرات والندوات والتجمعات المتخصصة والعامّة.

الصعبه لتنصيره، أو لتحويله عن دينه الإسلامي.

٣- إيقاف زحف الفرنسة، وإنقاذ اللغة العربية المحاربة من قبل الاستعمار الفرنسي.

٤- إيقاف المد التغريبي بين صفوف الشعب الجزائري، الذي يسعى لخلق النخب الجزائرية الطامحة للاندماج في فرنسا.

٥- مقاومة سياسة المسخ والتشويه التي تمارسها الإدارة الاستعمارية تجاه قيم الشعب الجزائري ودينه.

٦- الإعداد الصحيح لبناء الفرد الجزائري العربي المسلم، الواعي، والمتسلح بدينه وقيمه ولغته.

٧- الحفاظ على آخر حصن الممانعة العربية والإسلامية في الجزائر السليمة.

#### نشأته وأهم إنجازاته:

بعد انهزام دول المحور في الحرب العالمية الأولى، وخروج الحلفاء منتصرين، واعلان مبادئ الرئيس الأمريكي (لوسون): تأسست أول صحيفة جزائرية حرة بقدسية اسمها (جريدة النجاح) سنة ١٩١٩ م<sup>(٢٧)</sup>، وقد أسسها عبد الحفيظ الهاشمي أحد تلامذة الشيخ ابن باديس، وكان الشيخ يكتب فيها مقالاته تحت اسم مستعار، ويوقع باسم (العبسي).

ثم قرر الشيخ تأسيس صحيفة خاصة، تعبر عن خط واتجاه (جمعية الإخاء العلمي) واتجاهها، فأسس مع مجموعة من المخلصين، من أهل قدسية، صحيفة (المتقد)<sup>(٢٨)</sup>، التي عطلتها الإدارة الاستعمارية بعد مدة قصيرة من روتها النور، مما دفع الشيخ باديس إلى إصدار (جريدة

الجزائري، وتصحيح التصورات والأفكار والرؤى والمعتقدات، والقيم، حيال أهمات القضايا العقائدية، والروحية كتصحيح الفهومات الخاطئة حول عقيدة القضاء والقدر والجبر والاختيار<sup>(٢٧)</sup>.

وبهذه الوسائل، والأساليب، والطرق المتنوعة، استطاع الشيخ عبد الحميد بن باديس- رحمه الله-أن يؤسس لطبيعة الحركة الإصلاحية العربية الإسلامية السنّية والسلفية الأصيلة في الجزائر، التي أوشكت على الضياع التام من حياضعروبة والإسلام.

تأسیسیۃ جمیعیۃ الکتابۃ العلیاۃ  
ابن بادیس و تاسیسہا

اجتمعت جملة من العوامل لتهيئة ظروف نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كان الشيخ عبد الحميد بن باديس قد هيأ لها اجتماعاً تمهدياً دُعي باجتماع الرواد في صيف ١٩٢٨م، اجتمع فيه كل العلماء الجزائريين القادمين من جامعات العالم الإسلامي، ومعاهده، ومساجده برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي أرسى معهم دعائم العمل الجمعي وأسسه، بخطبة مركزة، تضمنت تشخيصاً حقيقياً لواقع العالم العربي والإسلامي عامّة، ولواقع الجزائر خاصة، وما ترسف فيه من جهل مطبق، وتخلف عميق. مقتراحًا بعد المناقشة خطة عمل مضبوطة ببرنامج، تضمنت مجموعة من المبادئ.

وقد تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم الثلاثاء ١٧ من ذي الحجة ١٣٤٩هـ ٥ ماي ١٩٢١م بنادي الترقى بالجزائر

٧- مهادنة الإدارة الاستعمارية، وإنشاء العلاقات التهادنية معهم؛ لغض الطرف عن نشاطه الديني.

٨- استغلال نفوذ عائلته وثرائها وجاهها، وبخاصة أبوه لخدمة العمل الدعوي.

٩- الاعتماد على كوكبة من العلماء الأجلاء المخلصين العاملين.

١٠- تشجيع المبادرات الخيرة مهما كان مصدرها.

١١- ربط الصلة بالشرق العربي لغة وروحاً.

١٢- إحياء قيم الجزائر و الماضيّها وتاريخها وأمجادها في نفوس الشعب الجزائري الأمي.

١٣- محاربة الطرقة البدعية، وكل أشكال الغرافة.

١٤- الدعوة إلى الاجتہاد والتفتح الأصيل، والتمسك بالقيم الأصيلة.

١٥- نبذ كل أشكال التقليد والتبعية والانقياد الأعمى.

١٦- إنشاء النوادي الثقافية، والفكرية، والأدبية، والرياضية، والفنية، والمسرحية الهدافـة.

١٧- الدعوة الفردية والجماعية والجماهيرية.

١٨- الدعوة القولبية والعملية والتناصحية.

١٩- الابتعاد عن الصراعات الهامشية، والانتصار للذات.

٢٠- بث روح الأمل في الشعب الجزائري، ودعوته للتخلص من غشاشة اليأس والقنوط، التي غرسها الاستعمار الفرنسي في نفسية الشعب

البربرى الخاص بالعرق الأمازيغي، بهدف  
فصله عن الوطن الأم<sup>(٢١)</sup>.

وقد عملت الجمعية ضمن صف الحركة الوطنية الأصيلة، التي ناضلت طيلة نصف قرن تقريباً (١٩١٦-١٩٥٤م) للحفاظ على هذه المقومات الحضارية لأبناء الجزائر العربية المسلمة، وكانت القضايا التي استحوذت على اهتمام الجمعية خاصة، واهتمام صف الحركة الوطنية عامّة، ما يأتي:

- ١- التربية والتعليم، ومحو الأميّة، ورفع المستوى الثقافي للشعب الجزائري.
- ٢- بعث روح الاعتزاز بالقيم الوطنية العربية الإسلامية لدى الفرد الجزائري أمام التدمير الاستعماري الهمجي لكل المقومات الحضارية للشعب الجزائري.
- ٣- المناداة بتحسين أوضاع الجزائريين الاقتصادي، والاجتماعي، والصحي، السياسي، وإصلاحها...
- ٤- الحفاظ على اللغة العربية والدين الإسلامي.

كما نددت - ضمن إطار تنديد الحركة الوطنية الأصيلة - بالقضايا الآتية:

- ١- تجنيد الجزائريين الإجباري في الجيش الفرنسي، لتنفيذ المشاريع، والمخططات العدوانية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، وفي سائر المستعمرات الفرنسية الأخرى.
- ٢- إدماج قطاع كبير من الجزائريين، ومحاولة تجنسيهم بالجنسية الفرنسية لتشويههم ومسخهم.

العاصمة، وبحضور أغلبية علماء القطر الجزائري<sup>(٢٢)</sup>.

وقد ساهمت مجموعة من العوامل في نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أهمها:

١- جاء تأسيس جمعية العلماء إثر احتفال فرنسا بموروث قرن على استعمار الجزائر، حيث خلعت على احتفالاتها كل مظاهر الهيبة الاستعمارية، والمظاهر الصليبية الحاقدة علىعروبة والإسلام<sup>(٢٣)</sup>.

٢- جاء إنشاؤها إثر تقسيم الجزائريين إلى قبائل أمازيغ مسيحيين، ويهود فرنسيين مواطنين، لهم حق المواطنة، ومواطنين جزائريين مسلمين من الدرجة الثالثة<sup>(٢٤)</sup>.

٣- جاءت إثر صدور قانون منح الجنسية الفرنسية لكل الذين ولدوا في الجزائر من أبوين غير عربين كاليهود وغيرهم.

٤- جاءت إثر استيلاء فرنسا على ما تبقى من أراضي الأفراد والأعراس والقبائل، وتوزيعها على آخر قوافل المستعمرين الأوروبيين الوافدين إلى الجزائر.

٥- جاءت إثر تحويل كل مقومات الأمة الجزائرية الإسلامية من مساجد، ومعاهد، وزوايا، وأوقاف... وكنائس، ومخازن، واصطبلات، وملاج، وثكنات عسكرية...

٦- جاءت إثر القضاء على كل أشكال الممانعة الحضارية العربية الإسلامية.

٧- جاءت بعد إلغاء قانون الأحوال الشخصية الإسلامي، ومحاكم القضاء الشرعي الإسلامي، وصدر ما يسمى بقانون الظهير

- ٤- التوجه نحو الشرق العربي الإسلامي والإشادة بتاريخه وأمجاده.
- ٥- إحياء الفضائل والأخلاق المتينة، وعقد حملتها بالقلوب لا بالألسنة.
- ٦- تحسين صورة الفرد، والأسرة الجزائرية العربية المسلمة، ومكانتها السامية في الإسلام.
- ٧- التقليل من الافتتان بالحضارة الغربية.
- ٨- قمع موجة الكفر والإلحاد، التي سعى الاستعمار إلى نشرها بين الشباب الجزائري وخاصة.
- ٩- إيقاف حملات التبشير المسيحي بين أبناء الشعب الجزائري.
- ١٠- التخفيف من ويلات الأمية والجهل.
- ١١- الاضطلاع بواجب الوعظ، والإرشاد، حيث يتفرغ له في شهر رمضان أربعون ومئة (١٤٠) واعظتابعون لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- ثانياً: على الصعيد المادي:**
- ١- تشييد سبعين مسجداً حراً لحمل رسالة التربية الروحية التي كان المسجد يضطلع بها سابقاً.
  - ٢- تشييد بضع وأربعين ومئة مدرسة ابتدائية مجهزة بأحسن تجهيز، تتسع لخمسة وسبعين ألف تلميذ.
  - ٣- تشييد معهد ثانوي كامل الأدوات والمرافق، يضم ألف تلميذ، (معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة).
  - ٤- إرسال البعثات العلمية إلى جامع الزيتونة، التي بلغت قرابة خمسمائة وألف تلميذ.
- ٣- المحاولات الدائمة، المستمرة للمبشرين المسيحيين لتنصير قطاع كبير من أبناء الجزائريين المسلمين، وبخاصة أبناء منطقة القبائل الكبرى.
- ٤- محاربة المفاسد الأخلاقية والاجتماعية التي تسبب فيها وجود الاستعمار كتعاطي الخمر، والزنـى ...
- ٥- محاربة الطرقـة الابـداعـية، المتـسبـبة في نـشرـ الـخرـافـاتـ، والأـوهـامـ بيـنـ أـبـنـاءـ الشـعـبـ الجـازـائـريـ الغـافـلـ.
- ٦- مناهضة القوانـينـ الرـدعـيـةـ الزـجـرـيـةـ القـاسـيـةـ،ـ والمـطـالـبـةـ المـسـتـمـرـةـ بـرـفعـهاـ عـنـ الشـعـبـ الجـازـائـريـ.
- ٧- محاربة الإـدـارـةـ الـاسـتـعـمـارـيـةـ المـسـتـمـرـةـ لـلـغـةـ العـرـبـيـةـ،ـ ولـلـدـيـنـ إـلـاـمـيـ(٢٢ـ).
- ولعل المذكورة التي قدمها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي<sup>(٢٣ـ)</sup> إلىأمانة جامعة الدول العربية، وإلى مشيخة الأزهر يوم ٥ رجب ١٣٧٢هـ، الموافق ٢٠ مارس ١٩٥٣م تبيّن بوضوح أهم أعمال جمعية العلماء في المجال الإصلاحي، حيث جاء على وجه الخصوص ما يأتي:
- أولاً: على الصعيد الروحي والمعنوـيـ:**
- ١- استقرار مفهوم الإصلاح الديني الإسلامي الصحيح المقرـونـ بالكتـابـ والـسـنـةـ.
  - ٢- إذكـاءـ النـزـعـةـ العـرـبـيـةـ فـيـ النـفـوـسـ بـعـدـ أـنـ كـادـتـ تـنـمـيـ فـيـ الـجـازـائـرـ.
  - ٣- تقوـةـ الشـعـورـ السـيـاسـيـ،ـ وـتـكـوـنـ رـأـيـ عـامـ وـطـنـيـ حولـهـ.

وبعد هذه السجالات العلمية، والفكرية، والأدبية، تنتخب الجمعية العامة المجلس الإداري لها. الذي كان عدد أعضائه - عادة - لا يتجاوز خمسة عشر عضوا، ثم تنفصل جلسة الجمعية العامة بالتواضي بالصبر والتواضي بالحق، والتناصح الأخوي، والعمل في سبيل تحرير الجزائر المستعمرة المقهورة.

ويجتمع المجلس الإداري بعدها بقليل، وينتخب من أعضائه مكتب المجلس الإداري، المكون من: الرئيس، ونائبيه، والكاتب العام، والمراقب العام، وأمين المال، وعضو مستشار عن كل عماله. ثم ينتخب بعدها مكتب المجلس الإداري، المكتب الدائم. فلجنة البصائر. فاللجنة المالية، فلجنة الإفتاء، فلجنة التعليم العليا.

١- الجمعية العامة.

٢- المجلس الإداري.

٣- مكتب المجلس الإداري.

٤- المكتب الدائم، وتتفق عنده اللجان الآتية:

١- لجنة الإفتاء

٢- لجنة التعليم

٣- اللجنة المالية.

٤- لجنة جريدة البصائر<sup>(٢٠)</sup>.

وظلت الجمعية تقوم بنشاطاتها الدينية، والتربيوية، والتعليمية، والدعوية، والإعلامية، والثقافية... منذ إنشائها سنة ١٤٢٩ هـ - ١٩٣١ م إلى يوم اندلاع الثورة التحريرية في ١/نوفمبر/١٩٥٤ إذ اختارت عن افتئاتِها الانضمام الطوعي لها، وذلك بتجنيد تلاميذها

٥- إرسال البعثات العلمية إلى جامع القرويين، التي بلغت قرابة مئتي تلميذ.

٦- إرسال البعثات العلمية إلى الشرق العربي، التي بدأت طلائعها تصل إلى الجامعات العربية (مصر، سوريا، العراق، الكويت، السعودية).

٧- إشاعة الحركة الثقافية المباركة لحفظ العروبة والإسلام في أوساط العمال النازحين إلى فرنسا.

٨- إنشاء مكتبة جديدة حافلة بالكتب في المعهد البابديسي بقدسية.

٩- إنشاء مكتب ثقافي للجمعية في القاهرة؛ ليكون صلة بين الجزائر والشرق، وليشرف على البعثات الحاضرة والمنتظرة، والذي ستتجني العروبة والإسلام منه خيراً كثيراً<sup>(٢١)</sup>.

### **ثالثا: هيكلها ومؤسساتها الإدارية:**

تشكل التركيبة الهيكيلية والتنظيمية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بناء على مفردات قانونها الأساسي، ونظمها الداخلي وفق الطريقة الآتية:

تعقد الجمعية العامة للجمعية كل سنة في الأيام الثلاثة الأخيرة من شهر سبتمبر، وفاتح أكتوبر، وبعد قراءة كل التقارير السنوية الأساسية: (التقرير الأدبي، التقرير المالي، التقرير الإداري)، تلقى الخطاب، والكلمات العصماء والمواعظ والمحاضرات القيمة؛ لأنّ الجلسة العامة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت تضم كبار العلماء، وخيرة الخطباء، وكانت الخطبة آنذاك مظهراً من مظاهر البروز والرقى، إضافة إلى كونها فرصة تتلاقى فيها كفاءات رجال الجمعية المتنوعة.

العربية، التي أوشكت على الاندلاع  
والانقضاض التام.

-٣- توعية الأمة الجزائرية، صفيتها وكبائرها،  
بالدروس الخاصة وال العامة، ولهذا تجول  
الشيخ عبد الحميد بن باديس في أكثر من  
ألفي قرية، ومدينة جزائرية داعياً إلى الله  
تعالى.

-٤- تجنب الخوض في السياسة والعمل السياسي،  
وعدم إظهار العداوة لفرنسا وأعوانها.

-٥- تجنب الدخول في المعارك الجانبية مع  
الطرفين، وأصحاب الزوايا، والأضرحة،  
والأئمة الرسميين، ومن في حكمهم من خدمة  
الاستعمار الفرنسي.

-٦- استخدام كل الوسائل المادية المتاحة، وكل  
الأساليب المعنوية الممكنة للنهوض بالشعب  
الجزائري.

-٧- الاعتماد على الجهود الجمعية خاصة، وحسن  
استثمار كل الجهود الفردية الممكنة.

-٨- الدعوة إلى الاجتهد، ونبذ التقليد والجمود،  
الذي أضرّ بالأمة الإسلامية في عصور  
تغافلها.

-٩- مقاومة كل المخططات، والمشاريع  
الاستعمارية المفروضة على الشعب الجزائري  
من تنصير وتبيير، وتشويه، وتغريب، ومسخ،  
وإدماج، وفرنسا من أجل الحفاظ على هوية  
الأمة الجزائرية ومقوماتها، وانتمائها  
الحضاري العربي الإسلامي، التي لخصها في  
قصيدته الشهيرة:

وعلميهما في صفوف الثورة التحريرية أولاً، إلى أن  
حلّتْ تنظيمها، وانضمت لصفوف الثورة يوم  
٧/يناير ١٩٥٦م، وبعد اجتماعها، وبيانها  
التاريخي، الذي أعلن القطيعة النهائية مع الوجود  
الاستعماري على أرض العروبة، والإسلام،  
الجزائر.

وبعد أن أسس لها الشيخ عبد الحميد بن باديس  
قواعدها طيلة مدة رئاسته الرشيدة لها، التي  
دامـت عشر سنـين من الجهـاد المتـواصل سنـوات  
١٣٤٩-١٢٥٩هـ / ١٩٣١-١٩٤٠م، ليـخلفـهـ فيـ  
رئاستـهاـ بـعـدـ وـفـاتـهـ الشـيـخـ البـشـيرـ الإـبـرـاهـيـمـيـ  
سنـواتـ ١٣٥٩-١٢٧١هـ / ١٩٤٠مـ، وـلـيـعـقـبـهـ  
فيـ رـئـاسـتـهـ بـعـدـ رـحـيـلـهـ إـلـىـ مـصـرـ الشـيـخـ العـرـبـيـ  
الـتبـسيـ سنـواتـ ١٣٧١-١٢٧٧هـ / ١٩٥٢-١٩٥٧مـ.

بعـدـ اـنـ اـنـتـ اـنـتـ

سعـىـ الإـمامـ عبدـ الحـمـيدـ بنـ بـادـيسـ بـالـتـعاـونـ معـ  
الـشـيـخـ البـشـيرـ الإـبـرـاهـيـمـيـ فـيـ الـحـجازـ سـنـةـ ١٢٣١هـ /  
١٩١٣مـ إـلـىـ رـسـمـ مـعـالـمـ الـمـنـهـجـ الإـصـلـاحـيـ الـمـنـاسـبـ  
لـلـجـزاـئـرـ، وـلـظـرـوفـهـ، وـلـوـضـعـيـتـهـ الـخـاصـةـ الـمـتـمـيـزةـ  
فـيـ ظـلـ الـهـيـمـنـةـ الـاـسـتـعـمـارـيـةـ الـفـرـنـسـيـةـ الـاـسـتـهـسـالـيـةـ  
الـقـاسـيـةـ، وـقـدـ حـدـدـاـ مـعـاـ مـنـهـجـيـةـ الـعـلـمـ الإـصـلـاحـيـ،  
بعدـ أـنـ تـدـارـسـاـ وـضـعـ الـجـزاـئـرـ بـدـقـةـ، وـعـنـ مـعـاـيشـةـ  
وـفـقـ الـمـبـادـئـ الـآـتـيـةـ:

١- العودة بالأمة الجزائرية إلى التمسك بالدين  
الإسلامي الصحيح، ونبذ الأباطيل،  
والخرافات، والبدع الطرقية التي شاعت بين  
أفراد الشعب الجزائري، والعمل وفق مبادئ  
الكتاب والسنة.

٢- العودة بالأمة الجزائرية للاعتزاز باللغة

المساجد، الصادر سنة ١٩٣٣م، وموقفه من قانون  
لغة العربية لـ ١٩٣٨ مارس / ٨: الذي يعدّ اللغة العربية لغة  
الجمعية في الجزائر، وموقفه من تبرئة الجمعية  
وعلمائها من إرسال برقية تأييد لفرنسا غداة  
اندلاع الحرب العالمية الثانية، وغيرها من  
المواقف المشترفة، التي أدت إلى وفاته في ظروف  
غامضة (٢٧).

ومن أهم موافقه الدينية والحضارية معاً فتواه بحرمة تجنس الجزائريين بالجنسية الفرنسية، وحرمة التقاضي والتحاكم، والرضى بالتشريع الوضعي الاستعماري مقابل التفاضي أو جحود حكم الشريعة الإسلامية ورفضه. وفي هذا الصدد، ننقل نص فتواه في حكم الله في التجنس بالجنسية الأجنبية والتوبة منه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## حكم الله في التهذيب والتهوية منه:

التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض  
أحكام الشريعة الإسلامية، ومن رفض حكماً واحداً  
من أحكام الإسلام عُدَّ مرتداً عن الإسلام  
بالإجماع. فالمتجنس مرتد بالإجماع.

والمتجنّس - بحكم القانون الفرنسي - يجري تجنّسه على نسله، فيكون قد جنّى عليهم بإخراجهم من حظيرة الإسلام، وتلك الجنائية من شر الظلم وأقبحه، واثمها متجدد عليه ما بقي له نسل في الدنيا خارجاً عن شريعة الإسلام بسبب خناقه.

فإذا أراد المتجلس أن يتوب، فلا بد لتوبيه من إقلاع، كما هو الشرط اللازم بالإجماع في كل توبة، وأقلاله لا يكون إلا بر حوجه للشريعة الإسلامية.

شیعہ الجزاير مسلم

## والى العروبة ينتمي

من قال حاد عن أصله  
أه قال مات فقد كذب

## او دام ادم اج الله

## دَام الْمُحَالُ مِنَ الْطَّلْبِ

## أؤنا رجأنت ءأشء

## وَكَالصِّبَاحِ قَدْ أَقْتَرَبَ

## **خُذ لِلْحَيَاةِ سَلَاحَهَا**

**وَخَضْرٌ الْخَطْوَبُ وَلَا تَهْبِ**

## واقلم حذور الخائنين

## فانہ مکل الٹے طب

وقد عبر عن ذلك في العديد من المناسبات، ومن بين ما كتب مؤكدا هوية هذه الأمة قوله: «إن هذه الأمة الإسلامية الجزائرية ليست فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، لكنها أمّة بعيدة كل البعد في لغتها، وفي أخلاقها، وفي عنصرها، وفي دينها، ولا ت يريد أن تندمج، ولها وطن محدود معنون...»<sup>(٣٦)</sup>.

كما عبر عن مواقفه الحضارية بصرامة متأهلية، من ذلك موقفه من المؤتمر الإسلامي سنة ١٩٣٦م، وإزاء احتفالات فرنسا بمناسبة مرور مئة عام على احتلال مدينة قسنطينة سنة ١٩٣٧م، وموقفه من قانون (م. شوطان) القاضي بمنع علماء جمعية العلماء من التدريس والوعظ في

شهوته على ذلك الزواج، فهو آثم بجنابته عليهم وظلمه لهم، ولا يخلصه من إثمه العظيم إلا إنقاذهم مما أوقعهم فيه بهجرته بهم.

إمضاء / عبد الحميد بن باديس<sup>(٣٩)</sup>.

والمتمعن في هذه الفتوى الصادقة الجريئة يتبيّن منها موقف ابن باديس الحقيقي من الاستعمار الفرنسي، وإن أدعى في الكثير من مواقفه عدم معارضته فرنساً أو محاربتها أو مخالفتها.

#### \* مؤلفاته:

لم يتفرّغ الشيخ عبد الحميد بن باديس، كبقية العلماء، للتصنيف، والتأليف، والتحقيق، وكذلك الأمر بالنسبة لأغلب علماء الجمعية، الذين قصرّوا جهودهم الدعوية، والدينية، والإرشادية، والتربوية، والتعلمية على العمل الميداني فقط. وكل ما تركوه من كتابات وأثار كان مجموعة من المقالات والدراسات والأبحاث والكتابات، والخطب، والدروس، والأمالي فقط... التي كانوا يلقونها في المناسبات، والدروس، والندوات، والملتقيات، والمؤتمرات، والمجالس...<sup>(٤٠)</sup>.

وقد جمع الأستاذ محمد الصالح رمضان، ومحمد الصالح الصديق تفسير ابن باديس، وطبعاه سنة ١٩٦٢ م، كما جمع الأستاذ الدكتور عمار طالبي - حفظه الله - أعمال الشيخ في كتابه الشهير (ابن باديس حياته وأثاره) في أربع مجلدات، وقام بتحقيقها خير قيام، وأعادت طبعه وزارة الشؤون الدينية سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، لا سيما تفسيره (مجالس التذكير من كلام الحكم الخبير) مع بقية الآثار الأخرى<sup>(٤١)</sup>.

ورفضه لغيرها، فلما كان القانون الإفرنجي يبقى جاريًا عليه، على الرغم مما يقول هو من رجوعه، فإقلاله لا يتحقق عندنا في ظاهر حاله - وهو الذي تجري عليه الأحكام بحسبه - إلا إذا فارق البلاد التي يأخذه فيها ذلك القانون إلى بلاد تجري عليه فيها الشريعة الإسلامية، وقد يكون صادفًا في ندمه فيما بينه وبين الله، ولكننا نحن في الظاهر الذي أمرنا باعتباره في إجراء الأحكام لا يمكننا أن نصدقه، وهو ما يزال ملابساً لما ارتد من أجله من أحكام تلك الجنسية، ولهذا لا تقبل توبته، ولا تجري عليه أحكام المسلمين.

والذي يقع عليه القضاء بحكم يتحقق أنه حكم الشريعة الإسلامية فيسعى في نقضه بحكم من غيرها هو برفضه لذلك الحكم، وطلبه لغيره، مرتد عن الإسلام.

فتوبة هذا يألاعنه عن طلب الحكم الآخر، أو بتنفيذه لحكم الإسلام إن كان غيره قد وقع، ومن جعل (الديسطاما) - وهي قسمة ماله بين من يشاء بعد موته على غير القسم الإسلامي، رافضاً للحكم الإسلامي - فهو مرتد عن الإسلام، وتوبته بإبطال تلك (الديسطاما)<sup>(٤٢)</sup>، ورجوعه إلى حكم الإسلام.

ومن تزوج من امرأة من جنسية غير إسلامية، فقد ورط نسله في الخروج من حظيرة الشريعة الإسلامية الغراء، فإن كان راضياً لهم ذلك، ومختاراً لهم على بقائهم في حظيرة الشريعة الإسلامية، فهو مرتد عن الإسلام، جانٍ عليهم، ظالم لهم، وإن كان غير راض لهم بذلك، ولا مختار لهم ذلك على شريعة الإسلام، وإنما غالبه

القليلة في ذهني أبواب آفاق واسعة لا عهد له بها....»<sup>(٤٢)</sup>.

كان ابن باديس يبدأ تفسيره بتعريف عام بالآلية أو الآيات المراد تفسيرها، وعادة ما يختار الآية المناسبة للموقف الاجتماعي أو السياسي، أو للحدث العام أو الخاص في البلاد، ثم يتعرض للشرح اللغوي، والبيان، والبلاغي، ويسطه بما يتناسب وذهن ساميته، ثم يتعرض لسبب نزول الآية ويربطها بالأحداث الواقعية، ثم يتعرض لتفسير الأقدمين للآيات، ثم يربطها بوقائع التاريخ الإسلامي الزاهي أو المتعثر، ثم يصحح بها التصورات، والعقائد، والفهومات، ثم يقدم الخلاصة وال عبر والحكم والفتاوي... وقد قدمت العديد من الرسائل الجامعية في تفسيره، وفقهه، ودعوته، ومنهجه<sup>(٤٣)</sup>.

وفاته:

توفي الإمام عبد الحميد بن بادس مساء يوم الثلاثاء ٨/١٢٥٩هـ الموافق ١٦/٤/١٩٤٠م، وقد حام حول وفاته الكثير من الشكوك، منها ما يُعزّب سبب وفاته إلى خوف الإدارة الاستعمارية منه بعيد تصريحاته الثورية ضد فرنسا، التي كانت في وضع لا تحسد عليه بسبب تعرضها لهجوم الألمان بداية شهر أبريل ١٩٤٠م.

وأحب هنا أن أنقل خلاصة الآراء، والأقوال التي جمعها الأستاذ الدكتور عمار طالبي في وفاته، حيث قال: «وفي أوائل سنة ١٩٤٠م، وقبيل وفاته، كان قد صرّح في اجتماع خاص مقسمًا بالله فقال: «والله لو وجدت عشرة من عقلاه الأمّة الجزائريّة يوافقونني على إعلان الثورة لأعلنها»، وكان يرمي من وراء ثورته، وعمله إلى تحقيق الاستقلال.

ولولا احتفاظ طلبه بأمالي أستاذهم لضاع تفسيره للقرآن، كما ضاع تفسير الشيخ العربي التبسي، وقد ختم تفسير القرآن احتفالاً مهيباً بمدينة قسنطينة، حضرته الوفود من أصقاع الجزائر، وجاء ردة فعل على قانون ٨/مارس ١٩٣٨، الذي يعدّ اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر<sup>(٤٤)</sup>.

منهج ابن باديس في التفسير:

لابن باديس منهج خاص في التفسير، استخلاصه من دراسته العميقه له على يد كبار علمائه، وحاول بمنهجه في التفسير أن يهدي الشعب الجزائري لمعرفة كتاب ربه، ودينه، والإقبال عليه، يدل على عمق تمرسه بأساليب الأقدمين لتفسير القرآن الكريم، وعن أساس هذا المنهج قال:

«... وأذكر للثاني (النخلي والقيرواني) كلمة لا يقل أثراً في حياتي العلمية عن أثر تلك الوصية في حياتي العملية، وذلك أنّي كنت متبرماً بأساليب المفسّرين، وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية، واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله، ضيق الصدر من اختلافهم فيما لا اختلاف فيه من القرآن، وكانت على ذهني بقية غشاوة من التقليد، واحترام آراء الرجال حتى في دين الله وكتاب الله، فذاكرت يوماً الشيخ النخلي فيما أجدده في نفسي من التبرّم، والقلق، فقال لي: «اجعل ذلك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة، وهذه الأقوال المختلفة، وهذه الآراء المضطربة يسقط الساقط، ويبقى الصحيح، وستريح...». فوالله لقد فتح بهذه الكلمة

صلب، متمسك بعقيدة السلف إلى حد التشبع، كالشيخ محمد بن عبد الوهاب، جريء شجاع كالشيخ جمال الدين الأفغاني، مقدام كالشيخ محمد عبده، متمرس هصور كالشيخ محمد بن علي السنوسي الكبير، متواضع كعبد الله بن المبارك، متقرّر متبحر كالشيخ أحمد ابن تيمية، ثائر كالأمير الشيخ عبد القادر الجزائري، خطيب مؤثر كالأحنف بن قيس، حكيم رصين قوله، كحكيم بن حزام، حليم أني كأشجع عبد القيس، سياسي محظوظ كمعاوية بن أبي سفيان... إنّه من مجده إسلام هذه الأمة التي كادت تتدثر...

ولعل الكلمة التي قالها فيه صديقه، وحبيبه الشيخ (العربي التبسي) في إحياء ذكرى وفاته الثانية عشرة تبيّن لنا بصدق مكانته الحقيقة، إذ قال: «إنّ الرجال لا تسجل أنسابهم، ولا صورهم، ولا أموالهم، في سجل الإنسانية وشرائعها، ورجالها، وإنما تسجل عقائد الذين غرسوا عقائدهم في نفوس الناس، وإنما تسجل أعمال الذين أخرجوا الناس من فوضى اجتماعية إلى نظام اجتماعي، توارثه الإنسانية بعدهم. إنما تسجل عبقرية أولئك الذين حاموا على الإنسانية حين امتهنت واعتدى عليها فراعنة العنصرية، وجباررة القوّة الماديّة، وإنما تسجل المبادئ التي تقيء إلى ظلّها الإنسانية حين تطغى على الإنسانية الجوائح التي تجتاح الناس بسوط عذابها، ولهيب نيرانها.

والذكرى، إذا أقيمت لشخص له في عروق هذه الصالحات نسب، كانت اعترافاً لتلك الشخصية بأن لها في عنق القائمين بهذه الذكرى نعمّاً ومنّاً،

في المناسبة رجوع رئيس حزب الشعب الجزائري السيد (مصالي الحاج) من باريس، وإعلانه طلب الاستقلال التام سنة 1936م، كانت جماعة من أنصار حركته جالسين معه فقال: «وهل يمكن لمن شرع في تشييد منزل أن يتركه بدون سقف، وما غايتها إلا تحقيق الاستقلال»، وحينما حمي وطيس الحرب العالمية الثانية اجتمع به جماعة من أنصار حركته ومريديه فقال: (عاهدوني)، فلما أعطي له العهد بال歃افة قال: «إنّي سأعلن الثورة على فرنسا عندما تشهر عليها إيطاليا الحرب»، وروي عن تلميذ آخر من تلامذته: «أنّه كان يريد الخروج على فرنسا إلى جبال أوراس؛ ليعلنها ثورة عليها لو وجد رجالاً يساعدونه...»<sup>(٤٥)</sup>.

وكتب يوماً عن الاستقلال فقال: «إنّ الاستقلال حق طبيعي لكل أمّة من أمّم الدنيا، وقد استقلت أمّم كانت دوننا في القوّة، والعلم، والمنعنة، والحضارة، ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله، ويقولون إنّ حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد. فكلما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أنّها تزداد تقلباً مع التاريخ، وليس من العسير، بل إنّه من الممكن أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي والأدبي، وتتغير فيه السياسة الاستعمارية عامّة والفرنسية خاصة... وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالاً واسعاً، تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر...»<sup>(٤٦)</sup>.

**المؤثرون في تشكيل شخصيته:**

اجتمعت جملة من العوامل لجعل من شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس شخصية ثرية، قلّ أن يتكرر نظيرها في التاريخ الإسلامي، فهو عالم

الجزائر هم من طبقات الشعب الفقيرة، التي لم تؤثر فيها غربة العربية بالجزائر في نظر الدولة الحاكمة.

باتت الحركة العلمية التي يقوم بها ابن باديس في حاجة إلى أمررين:

١- علماء يعينون على تقديم الدروس الكافية للطلاب الكثيرين والمختلفين في الدرجات العلمية.

٢- مادة تقوم بحاجات هؤلاء الطلاب العاجزين عن التفرغ لطلب العلم بحكم كونهم من أبناء الطبقة الشعبية الفقيرة.

وعلوم أيضاً أن الأوقاف الإسلامية المرصدة لطلاب العلم غصبتها الحكومة الفرنسية المحتلة فيما اغتصبت من دين الجزائريين ودنياهم، وفي هذا التطور خطأ ابن باديس خطوتين جديدين حذويتين للحركة العلمية هما:

❖ الأولى: ضم علماء جدد إليه؛ ليشاركونه أو يعينوه على الحركة العلمية في هذا التطور.

❖ الثانية: إحضار المال الكافي لينفق على التلاميذ كي يتفرغوا لطلب العلم.

هنا نقف، وهنا نكبر عبقرية ابن باديس وشجاعته الأدبية. اليوم يخرج ابن باديس - كفرد قائم بحركة فردية - من حركته القديمة، إلى حركة جديدة. وهنا استحالات الحركة العلمية المقتصرة النسبية في درس، وشيخ، وتلميذ، إلى حركة واسعة، عامة، شاملة.

خرج الدرس من نطاق التلامذة إلى متسع

شكرها له بإقامة الذكريات، والحفلات هو أقل حق له عليهم، يؤدونه له.

وعبد الحميد بن باديس، رحمه الله، جدير بأن تقيم له الأمة الجزائرية الإسلامية العربية الذكرى. وجدير بأن يُعدّ من أولئك الذين سجل لهم التاريخ جهوداً تؤهلهم للحق بالشخصيات المعترف لها بمزاياها.

قدم عبد الحميد بن باديس لأمتنا في أرضنا الشيء الكثير، مما يُعدّ أساساً لهذه الحركة، وبنوراً لنواحيها المتعددة.

ظهر عبد الحميد بن باديس كما يظهر علماء الدين مدرساً للعلوم الإسلامية بكتبه المتعارفة في الدراسات الإسلامية، وفي العلوم الدينية، واللسانيّة، والعقلية، متبرعاً بدراساته، لا يسأل عليها أجراً من أحد.

لم تمض على حركته تلك مدة تذكر حتى اشتهر بعمله، وسرى ذكره في الوطن الجزائري، وأقبل عليه طلاب العلم من كل فج، ومن جميع قبائل البوادي، وحواضر الوطن.

كان الطلاب يتذوقون لذاذة العلم من دروسه بكيفية لا عهد لهم بها عند من يعرفونه من العلماء، واشتهرت دروسه بأمررين:

١- متعاتها.

٢- كثرتها.

وهاتان الخاصيتان في دروسه جلبتا إلى حلقات دروسه كثرة من الطلاب فوق طاقة الشخص الواحد، وعلوم أن طلاب العلوم الإسلامية في

وقوانين النفس البشرية، وسنن المجتمع الإنساني، وتطور التاريخ والأمم، وهو محدث من الطراز العالى، لا يستشهد إلا بالآحاديث الصحيحة المسندة إلى الصحاح الستة...

والظاهرة الواضحة في الحياة العلمية التي نهض بها هي: الناحية النقدية المنهجية التي ترد الفروع لأصولها، والأصول لمستنداتها، فأذهب الفشاشة التي كانت سائدة على حقل العلوم الشرعية في الجزائر بعد سيطرة غلاة المتصوفة المبتدعين...

وهو كاتب ذو سلامة وعدوبة وسهولة، وأسلوبه أسلوب سهل ممتع، لا يستعمل السجع، ولا يتكلفه.. وهو شاعر يفيض الشعر من قلبه، وخطيب يُسٌيِّك سحبانَ وقِيساً، لا يتلعثم ولا يتردد، يستولي على النفوس، ويملك العقول.

وهو فقيه مطلع على مدارك المذاهب، وبخاصة مذهب الإمام مالك، جامع بين الأصول والفروع، وبين المأخذ الكلية وجزئياتها، يفتى ويربط الحوادث بأحكامها، وهو مصلح ديني واجتماعي يحارب التقليد والبدع، ويدعو للنهضة والتجديد والحضارة، ويغرس الحب وأصول الأخلاق، التي هي جوهر المدنية.. وهو صحفي قدير يقضى ليه في إعداد المقالات، وقراءة الجرائد والمجلات العربية الآتية من جميع البلاد العربية والإسلامية، والأجنبية المكتوبة باللغة الفرنسية، ويعلق عليها، ويرد، ويناقش، ويكتب في أصول السياسة الإسلامية.

وهو مؤرخ يحلل الحضارة، وينقد مقدمة ابن

الشعب، وأخذت الثقافة تتسع إلى طبقات الشعب كلّه بوساطة المحاضرات والدروس، والمنتقل أهلها من بلد إلى بلد، ومناشير توزع في الوطن في مختلف النواحي الدينية، والاجتماعية.

ومن هذه المرحلة الجديدة تولدت حركة التعليم المدرسي على النمط العصري، كما تولدت بعد ذلك منها هذه الحركات الاجتماعية الشعبية القائمة اليوم.

و قبل أن أضع القلم من يدي أتوجه إلى الله أن يكافئ عبد الحميد بن باديس على ما قدم للإسلام، والعروبة، والجزائر من جهود وخدمات، تعدّ أساساً محكمة لكل ما جاء بعد ذلك من حركات ومنظمات.

ونحن الجزائريين نعرف بأننا عاجزون عن مكافأة عبد الحميد بن باديس عنا وعمن يأتي بعدها من الأجيال. وأعترف لكم أيها القراء بأنني لم أكتب عن الأطوار التي اجتازتها حركة عبد الحميد كلها، وإنْ كلمتي هذه ما مستَ إلا الطور الأول من أطوار حياته المليء بجرائم الأعمال. فليرحم الله الإمام عبد الحميد بن باديس. وليتغمده برحمته الواسعة<sup>(٢٧)</sup>.

ولعل ما ختم به الأستاذ الدكتور عمار طالبي مقدمة كتابه آثار ابن باديس ما يعبر بحق عن قيمة ابن باديس الحقيقية، إذ جاء فيها قوله: «... فعبد الحميد بن باديس مفسر للقرآن تفسيراً سلفياً، يراعي فيه مقتضيات العصر، معتمداً على بيان القرآن للقرآن، وبيان السنة له، وعلى أصول البيان العربي وسنته، والنفاد إلى لغة العرب وأدابها،

للضمائر الخامدة والقلوب الهاameda، باش للعلم، محرك للعقل، مرجع الثقة بالنفس، زارع بذور الثورة، مشيع فكرة الحرية، مبين المحجة البيضاء التي لي لها كنهاها، فانكشفت به الغياب الدكنا، وانجابت به الغيوم الكثيفة والضباب العاتم من سماء الجزائر...»<sup>(٤٨)</sup>.

فليرحم الله ابن باديس وليتغمده برحمته الواسعة

خلدون، ويدرس آيات القرآن، وما تنطوي عليه من الدعوة إلى النظر في تجارب الأمم وتطورات الأحداث، وما تخضع له من سنن وقوانين، لا تبدل لها ولا تحويل.

وهو صوفي زاهد، لا كمتصوفة أهل زمانه وزهادهم، متأثر بالغزالى، وكان يسمى كتابه (إحياء علوم الدين) بكتاب الفقه النفيسي.. إنّه شخصية عجيبة، مجدد للنفوس البالية، وباعث

### الحواشي

نبغ من هذه الأسرة شخصيات سياسية ودينية كثيرة، كان من المتأخرین منهم جده أبو العباس أحيمدة بن باديس، وجده المكي بن باديس، قاضيا قسنطينة قبل سقوطها بيد الاستعمار سنة ١٨٣٧ م، كان أبوه عضوا في البرلمان الجزائري الفرنسي، وأسرته لأمه عريقة، فقد كان جده لأمه عضوا في البرلمان الجزائري الفرنسي. لمزيد من التوسيع انظر: ابن باديس حياته وأثاره: ٧٢/١: ٧٢، الصراع بين السنة والبدعة: ٢٢٩-٢٢١، ابن باديس رائد الإصلاح التربوي في الجزائر: ١٠٣.

٢. نهضة الحركة الوطنية والدينية الجزائرية: ٦٤.

٤. حمدان الويني ت ١٢٢١ هـ - ١٩٢٠ م:

من كبار علماء الجزائر، ومن رواد الحركة الإصلاحية بها في مستهل القرن الرابع عشر للهجرة، العشرين للميلاد تلمند على يد الشيخ عبد القادر المجاوي (ت ١٢٣٠ هـ ١٩٢٠ م)، وخرج الكثير من الطلاب منهم ابن باديس، الذي يقر له بالفضل، وبالعلم وبالريادة وبتأثيره العميق فيه، هاجر إلى الحجاز احتجاجاً على قمع السلطات الاستعمارية، وأفتى بعدم جواز تجنيد المسلمين الجزائريين في الجيش الفرنسي، فحاول الاستعمار التأثير فيه ليبدل فتواه، ولكنّه أخفق، فصادر الشيخ، مما اضطره للهجرة إلى بلاد الله الحرام، واستقر بالمدينة المنورة، وظل مدرساً للحديث النبوى بها إلى حين وفاته سنة ١٢٢٩ هـ - ١٩٢٠ م.

وقد قال عنه الأستاذ أحمد لطفي السيد لما أدى فريضة الحج سنة ١٩٢٢ م: «... أما نحن فقد كنا نخشى الوقت

١. كان آخر ثورة شعبية دينية في الجزائر وأعنفها ثورة الشيخ محمد المقراني، ومحمد الحداد، سنة ١٨٧٢-١٨٧١ م، ثم ثورة أولاد سيدى الشيخ المعروفة بثورة بوعمامنة سنة ١٨٨٤-١٨٨٦ م، انظر: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ١٢: ١٢، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر: ١٢٧، ١٢٤، حزب الشعب الجزائري: ٦٧، ٦٨، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية: ١٧، ١٨، بتصريف، الحركة الوطنية الجزائرية: ٧١/٢.

٢. كان ابن باديس سليل أسرة المعز بن باديس الصنهاجية، وينتسب إلى جده الأعلى المعز بن منصور بن بلقين بن زيري بن مناد بن منقوش، أمير قبيلة صنهاجة التلية، ومؤسس دولة بنى زيري الصنهاجية في بلاد المغرب الإسلامي، وقد حكمت هذه الأسرة وجهت سياسة المغرب العربي الإسلامي في القرون الرابع والخامس والسادس للهجرة، وأشهرها (المعز لدين الله أبو الفتوح بلقين بن زيري ت ٢٧٣ هـ)، الذي يرجع إليه الفضل في تطهير بلاد المغرب الإسلامي من بدع الباطنية والإسماعيلية... التي خلفها الفاطميون البهيديون من ورائهم في بلاد إفريقيا، واقرار مذهب أهل السنة، وقد دامت ولايته من سنة ٢٦٢ هـ إلى سنة ٢٧٣ هـ، ولما سقطت دولة بنى زيري على يد الموحدين في القرن السادس الهجري، ودمرت عاصمتهم (قلعة بن حماد)، بالقرب من مدينة مسلية اليوم، سكنت أسرة ابن باديس قسنطينة، واشتغلت بالعلم والتجارة والقضاء، كما

حسن الطويل، وجمال الدين الأفغاني، ونال شهادة العالمية سنة ١٢٩٢هـ، ثم تقلب في المناصب العلمية والدينية إلى أن عين مفتياً للديار المصرية في ٢١ ديسمبر ١٩١٤م. له مكتبة عظيمة بها قرابة ٨٠٠ مجلد، وكان صديقاً حميمًا للشيخ محمد عبد، توفي بالقاهرة سنة ١٩٣٥م.

انظر: في ذكرى رحيل الشيخ محمد المطيعي، مجلة الشهاب: مج ١١/٦٠٦ - ٦٠٧.

١٥. أبو الفضل الجيزاوي: من أكابر علماء مصر، ولد رئيسة الجامع الأزهر في العشرينات.

١٦. ابن باديس حياته وأثاره: ١/٨٠ - ٨١، الصراع بين السنة والبدعة: ٢/٢٤ - ٢٢٥.

١٧. ابن باديس: مج ١٤/٤ ج ٢٨٨ - ٢٩١.

١٨. سترد ترجمة عن هؤلاء لاحقاً إن شاء الله.

١٩. جريدة النجاح (١٩١٩/١٩٥٦م) الصادرة بقسنطينة برئاسة وتحرير عبد الحفيظ بن الهاشمي وما مي إسماعيل: أول صحيفة عربية تأسست بعد الحرب العالمية، ظهرت يومية في أول أمرها، ثم تحولت إلى شبه أسبوعية، ثم إلى أسبوعية، وكانت على صلة بوكالة (هافاس) العالمية، وهي صحيفة إخبارية جامعية أدارها وأرأس تحريرها (عبد الحفيظ بن الهاشمي)، ثم انضم إليه إسماعيل مامي الصحفي، الكاتب القسنطيني المعروف. لم يكن لها اتجاه سياسي واضح إلا الربح المادي، ولذا فقد سخرتها الإدارة الاستعمارية مدة لمحاربة الصحف الإصلاحية. الصحف العربية الجزائرية ٤٣: الصراع بين السنة والبدعة: ٢٢٦ - ٢٢٥/٢.

٢٠. جريدة المنتقد (١٩٤٢/١٩٢٥م) الصادرة بمدينة قسنطينة، برئاسة وتحرير الشيخ عبد الحميد بن باديس، وإدارة أحمد بو شمال: جريدة أسبوعية صادرة بمدينة قسنطينة، رئيس إدارتها الشيخ عبد الحميد بن باديس، وأحمد بو شمال، ورأس تحريرها الشيخ عبد الحميد بن باديس، وهي جريدة تمثل الخط الإصلاحي الاجتماعي، ودلّ عليها شعارها، فهي جريدة حرّة وطنية تعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية، وشعارها (الحق فوق كل واحد، والوطن قبل كل شيء)، وللهجتها الحادة مع الاستعمار عطلت بعد أربعة أشهر من صدورها بعد أن صدر منها ثمانية عشر عدداً. صدر العدد الأول منها يوم ١١ ذي الحجة ١٩٤٢هـ، الموافق ٢٢٥/٧/١٩٢٥م، وصدر العدد الأخير منها يوم ١٠ ربّع

بعد الوقت درس الأستاذ الكبير الشيخ حمدان الونسي مدرس الحديث والبيان بالحرم النبوي الشريف...» انظر: ابن باديس حياته وأثاره ١/٧٤ - ٧٥، الصراع بين السنة والبدعة ٢/٢٢٢ - ٢٢١، وانظر: مجلة الهلال المصريّة ١٢١/١٢٨ - ١٢٩، ومعجم أعلام الجزائر ٣٤٦، ونشأة أفريقيا الشمالية، مجلة أفريقيا الشمالية ٤٣: ٤.

٥. ابن باديس، حياته وأثاره ١/٧٤ - ٧٥.

٦. محمد النخلة القيرياني (ت ١٢٤٢هـ ١٩٢٤م): من أكابر علماء الزيتونة في التفسير، والحديث، وعلم السنن واللغة، تخرج على يديه كبار علماء النهضة الإصلاحية بالجزائر أمثال الشيخ ابن باديس، والعربي التبسي، ومحمد مبارك الميلي، ومحمد الطيب باشا التبسي، ودفاتر ترجمتهم الزيتוניתة ممهورة بتوقيعه، وجازاته وخطه.

٧. محمد الطاهر ابن عاشور (١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م) من خريجي جامعة الزيتونة، ومن أكابر علمائها وأفاضلهم، تخرج على يديه أكابر الحركة الإصلاحية الجزائرية في العصر الحديث، وتولى منصب إدارة الزيتونة، وقاضي القضاة بتونس، ومفتى الديار. ترك العديد من المؤلفات أهمها: تفسيره الشهير (التحرير والتذويير)، الذي يعد عمدة تفاسير مالكيّة المغرب العربي.

٨. انظر: ترافق المؤلفين التونسيين.

٩. نشرت جريدة (المشير) التونسية في عددها الصادر يوم ٦ أوت ١٩١٢م اسم الطالب عبد الحميد بن باديس ضمن أسماء الطلبة الزيتونيين، الذين نالوا شهادة التطوير العالية من الجامعة الزيتונית، وكان ترتيبه الأول بين دفعته تلك، التي لم يتخرج فيها أي جزائري غيره. انظر: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس ٢١:

١٠. أفريقيا الشمالية تسير ٤٤.

١١. أنا ٥، بتصريف.

١٢. المصدر نفسه.

١٣. الصراع بين السنة والبدعة ٢/٢٢٤، ٢٢٥.

١٤. محمد بخيت المطيعي ت ١٩٢٥م:

ولد بقرية المطاعية بمحافظة أسيوط، حفظ القرآن الكريم، ومبادر العلوم العربية والدينية، ثم التحق بالأزهر سنة ١٢٨٢هـ، فدرس فيه على يد كبار مشايخه منهم الشيخ

- ١١/٩/١٩٣٣ م الموافق ٢١/٩/١١ جمادى الأولى (١٣٥٢هـ)، كانت امتداداً لسابقتها الشريعة والستة المعتلتين، وما عتمت أن صدر منها العدد السابع عشر حتى عطّلتها الإدراة الاستعمارية في ١/٨/١٩٣٤م، لموافقتها ولخطتها الإصلاحي المصري على نشر الفضيلة والعلم، ومحاربة الرذيلة والجهل. الصحف العربية الجزائرية: ١٨١.
٢٥. جريد البصائر (١٩٣٩-١٩٤٥) في سلسلتها الأولى بإدارة وتحرير الشيخ محمد الطيب العقبي، وصاحب الامتياز فيها الشيخ محمد خير الدين، ثم بإدارة ورئاسة وتحرير الشيخ مبارك الميلي بداية من سبتمبر ١٩٣٧م. صدر العدد الأول منها يوم الاثنين ٢٧/١٢/١٩٣٥م، وتوقفت عن الصدور يوم ٢٥/٨/١٩٣٩م خشية أن تورطها الإدراة الاستعمارية المستعدة للدخول في الحرب العالمية الثانية، كما توقفت الجمعية عن ممارسة أي نشاط خلال الحرب، وقد صدر منها مئة وثمانون عدداً (١٨٠). الصحف العربية الجزائرية: ١٩٠.
٢٦. جريدة البصائر (١٩٤٧-١٩٥٦) في سلسلتها الثانية بإدارة وامتياز الشيّخ البشير الإبراهيمي مع رئاسة تحرير الشيّخ أحمد توفيق المدنى: ظهر العدد الأول منها يوم الجمعة ٢٥/٧/١٩٤٧م الموافق ٧/رمضان/١٣٦٦هـ، وتوقفت يوم ٦/٤/١٩٥٦م، ٢٥/شعبان/١٣٧٥هـ، بعد أن صدر منها (٢٦١) عدد، وقد حصلت على العدد الذي يحمل رقم ٢٦١ هدية من المركز الثقافي الإسلامي ببسكرة
- ❖ سلسلة البصائر الثانية مركز أرشيف تبسة. مكتبة الشيّخ العربي التبسي. تبسة.
٢٧. انظر مقالات ابن باديس في صحف الجمعية وبخاصة في (البصائر والشهاب).
٢٨. ابن باديس حياته وأثاره ١: ١٨، ٧١، بتصرف.
- أول صيحة ارتفعت بالإصلاح في العهد الأخير. سجل مؤتمر العلماء المسلمين الجزائريين الخامس المنعقد بنادي الترقى بالجزائر أواخر شهر سبتمبر ١٩٣٥م.: ٤٠. انظر المذكرات: ١/٨٦-٨٥.
- وهذه المبادئ هي:
- ١- تكوين لجنة للتسهيل والتنفيذ.
  - ٢- الشروع فوراً في إنشاء المدارس الحرّة لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية.
  - ٣- الالتزام بإنقاء دروس الوعظ والإرشاد لعامة المسلمين في
- ٢٩/١٣٤٤ هـ الموافق ٢٩/١٠/١٩٢٥م. الصحف العربية الجزائرية: ٥٤-٥٣، أرشيف قسنطينة أيضاً.
٢١. جريدة ومجلة الشهاب الأسبوعية ثم الشهرية (١٩٣٩-١٩٤٥) الصادرة بقسنطينة تحت إدارة وتحرير الشيخ عبد الحميد بن باديس: خلفت جريدة المنفرد بعد أن عطلتها الإدراة الاستعمارية، حاملة خط المنفرد نفسه، وقد رأس تحريرها ابن باديس، وصدر العدد الأول منها يوم ١٠/ ذي الحجة ١٣٤٢هـ، الموافق ١٢/١١/١٩٢٥م، وكانت تصدر مرة كل أسبوع وفي سنتها الرابعة تحولت إلى مجلة شهرية تؤرخ للحركة الفكرية والإصلاحية الجزائرية، تطورت شعاراتها بتطور مراحل الحركة الإصلاحية من (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) إلى (لنقول على أنفسنا ولنتكل على الله)، الصحف العربية الجزائرية: ٥٩.
٢٢. جريدة السنة النبوية (١٩٣٢-١٩٣٥هـ) الصادرة بقسنطينة مرة واحدة في الأسبوع بإدارة الشيخ عبد الحميد بن باديس وتحريره: تعدّ أول جريدة تصدرها جمعية العلماء لتكون اللسان الناطق باسمها، وقد ظهر العدد الأول منها يوم ٨/ ذي الحجة ١٣٥١هـ الموافق ٣/٤/١٩٣٢م، وكانت تصدر أسبوعياً كل يوم اثنين تحت إشراف وإدارة الشيّخ (عبد الحميد بن باديس)، ورئاسة تحرير كل من الشيّخ (الطيب العقبي)، والشيّخ (محمد السعيد الزاهري)، وجاءت لتردد على صحف جمعية علماء السنة (المعيار)، التي ظهرت بداية ١٢/١٦/١٩٣٢م، والإخلاص) التي ظهرت بداية ١٢/١٩/١٩٣٢م، وأوقفتها الإدراة الاستعمارية يوم ١/٧/١٩٣٢م، بعد أن صدر منها ثلاثة عشر عدداً. الصحف العربية الجزائرية: ١٣٠.
٢٣. جريدة الشريعة (١٣٥١هـ-١٩٣٢م) الصادرة بقسنطينة تحت إشراف الشيّخ عبد الحميد بن باديس مع قلمي التحرير الشيّخ محمد الطيب العقبي، والشيخ محمد السعيد الزاهري، وصاحب الامتياز فيها الشيّخ أحمد بوشمال: صدر العدد الأول منها في ٢٤/ ربیع أول ١٣٥٢هـ، الموافق ١٧/٧/١٩٣٢م، كانت امتداداً لجريدة السنة المعطلة، ولم يصدر منها غير سبعة أعداد، حتى جاء قرار تعطيلها يوم ٨/٨/١٩٣٢م.
٢٤. جريدة الصراط السوي (١٣٥١هـ-١٩٣٢م) بإدارة الشيّخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ أحمد بوشمال صاحب الامتياز: ظهر العدد الأول منها في

بالجزائر العاصمة، وبحضور أغلبية علماء القطر الجزائري.

❖ ينظر: الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء، مجلة الشهاب: مع ٧/ ج ٦: ٣٤١ - ٣٤٤.

وقد أسست جمعية العلماء العدد الكبير من النوادي الثقافية، والفكرية، والأدبية، والفنية في أنحاء الجزائر حتى تقاد كل قرية أو بلدة صغيرة تعز بوجود ناد ثقافي تابع للجمعية. كما توسيع في إنشاء النوادي في فرنسا، حيث أسست قرابة عشرة نواد لأبناء الجزائريين المقيمين في فرنسا سنة ١٩٣٨ م. كما لعب نادي تبسة التابع لجمعية العلماء دوره الريادي، والثقافي، بسب وجود الشيخ العربي المستمر فيه، وقد أسس أهل تبسة ناديهم مجاوراً للثكنة العسكرية الفرنسية سنة ١٩٣٣ م.

❖ انظر: مذكرات شاهد القرن: ١٨٥ - ٢٦٢.

❖ انظر: جريدة البصائر ع ١٠٣، ع ١٠٨، ع ١١٧.

❖ ينظر الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين العربين ١٩١٩ - ١٩٣٨ م: ١٣٥.

٢٠. انظر تعريفاً موجزاً بقانون الأهالي: (النديجينا): قانون الأهالي الجزري L'INDIGENAT CODE DE

١- تكلم بما لا يليق في فرنسا وحكومتها.

٢- رفض أو عدم تنفيذ أمر الحراسة حسبما تنص عليه الإدارة، أو التخلف عن مركز الحراسة، أو التهاون في الحراسة.

٣- الامتناع من إعطاء أعنوان السلطة مقابل الثمن المعجل، وحسب التعريفة الإدارية التي يسنها المتصرف أو أعنانه وسائل النقل والمؤونة، والماء الصالح للشرب، والوقود، وذلك فيما إذا كان أعنوان السلطة لهم إذن خاص بذلك، ويحملون رسائل تعرف بهم رئيس الدوار أو القبيلة في التواхи التي يعينها الوالي سنوياً، وعلى رئيس الدائرة أو القبيلة أن يعرف سائر رجال الدوار أو القبيلة بالتعريفة الرسمية، التي تشمل ثمن الأشياء التي يمكن أن تجري عليها السخرة.

٤- عدم تنفيذ الأوامر التي تصدر لتعيين الملكية أو لحفظها. ٥- السهو عن تقدير المواليد، والوفيات في دفتر الحالة المدنية، أو التأخر في ذلك، أو مخالفة الأمر الصادر في جعل اللقب العائلي.

٦- عدم احترام القرار الإداري في تقسيم الأرض المشاعة لل فلاحة بعدأخذ رأي مجلس الجماعة في ذلك.

المساجد العرّة، والتجول في أنحاء الوطن لتبليل الدعاوة الإصلاحية لجميع الناس.

٤- الكتابة في الصحف والمجلات لتوعية طبقات الشعب.

٥- إنشاء النوادي العربية للاجتماعات وإلقاء الخطاب والمحاضرات.

٦- إنشاء فرق الكشافة الإسلامية للشباب في أنحاء البلاد كافة.

٧- العمل على إذكاء روح النضال في أوساط الشعب لتحريره من العبودية والظلم. وتوكل إلى كل شيخ بمدينته وأحوازها.

(❖) نادي الترقى بالجزائر العاصمة:

بدعوة من أعيان الجزائر أنشأ علماء ومصلحو وملوك وأدباء الجزائر (نادي الترقى)، الذي افتتح رسميًا يوم ١٨ جويلية ١٩٢٧ م، وقد افتتح الشيخ (عبد الحميد بن باديس) النادي بسلسلة من المحاضرات، وكانت محاضرته الأولى: (الاجتماع والنادي عند العرب).

وقد أخذ النادي بعد ذلك يشهد أسبوعياً محاضرة عن الأوضاع الدينية، والثقافية، والأدبية، والفكرية دون التطرق للأوضاع السياسية لاعتبارات عديدة، وقد كان نادي الترقى قبلة النساء المثقفات الجزائريات، والعرب الزائرين. وقد حقق النادي جملة من الأهداف الإصلاحية، والثقافية، والفكرية، والتاريخية للجزائريين ولثقافتهم المغيبة، وكان من أهم المكاسب التي ولدت في نادي الترقى هي:

١- تأسيس جمعية الفلاح الخيرية.

٢- جمع وحدة النواب الجزائريين في المجالس الفرنسية.

٣- اجتماع مؤتمر طلاب شمال أفريقيا.

٤- تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية الكبرى.

٥- مقاومة سياسة التجنيس والاندماج.

٦- مساعدة الكفاح الفلسطيني.

٧- تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

٨- مقاومة التبشير المسيحي، ومحاولة تكوين (الاتحاد الديني السماوي).

٩- جمعية الزكاة، وقد حاول النادي تأسيس مصرف إسلامي، ولكن الإدارة الاستعمارية عارضت ذلك. وظل النادي يضطلع بدوره إلى أن اندلعت الثورة التحريرية. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ١٠٥.

٢٩. تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم الثلاثاء ١٧ من ذي الحجة ١٩٢١ م بنادي الترقى

- ٧- التأخر عن دفع الضرائب أو الفرائم، وكل مال من أموال الدولة والبلدية.
- ٨- عدم الإجابة حالاً بدون موجب شرعي على استدعاء مراقب أو موزع الضرائب المختلفة بمناسبة تقرير الضرائب.
- ٩- محاولة إخفاء أو المشاركة في محاولة إخفاء الحيوانات والأشياء؛ كيلا تدفع عليها الضرائب الدولية.
- ١٠- الاحفاظ بحيوانات تائهة أكثر من أربع وعشرين ساعة بدون إعلام السلطة.
- ١١- إيواء أشخاص من غير الدائرة الممتزجة، إذا لم يكونوا حاملين رخصة السفر الخاصة بدون إعلام رئيس الدوار بذلك.
- ١٢- عدم تسجيل السلاح في ظرف خمسة عشر يوماً، سواء كان السلاح موروثاً أو وقع شراؤه برخصة رسمية خاصة.
- ١٣- السكنى في مكان منعزل خارج الدشرة أو الدوار دون إذن خاص من المتصرف أو نائبه، أو السكنى بمكان تمنع السكنى فيه.
- ١٤- الخروج من تراب الدائرة التي يسكن فيها، والدخول في تراب دائرة أخرى إلا لمن كان محرازاً جواز سفر، ويصلح جواز السفر لمدة عام واحد؛ فإن أساء الأهللي استعماله نزع منه، وأصبح لا يستطيع أن يغادر بأي حال من الأحوال المدينة أو القرية أو دوار سكانه.
- ١٥- إذا حل بمدينة غير مدينته الأصلية، واستقر بها على الأقل ٢٤ ساعة، وتتفاوض عن التهاب لمركز السلطة، وتسجيل جواز سفره، وكلما حلّ بمركز وجب عليه تسجيل ذلك الجواز، فإذا استقر بالمدينة المسافر إليها سجله كذلك.
- ١٦- الخروج إلى السوق بدواب وماشية قصد بيعها دون الحصول من عضو أهلي من اللجنة البلدية على شهادة يتحصل عليها بدون ثمن تتضمن وصف ذلك واسم مالكه، وعلى العضو الأهلي أن يشعر المتصرف بذلك حالاً.
- ١٧- إذا حدث الشغب في السوق أو في محل عمومي، وكان شغباً لا يكفي لعدة جنحة.
- ١٨- إذا رفض أو تفاوض عمما طلب منه القيام به من عمل، أو خدمة، أو مشاركة في إغاثة عند وقوع حادث، أو نهب، أو شغب عام أو تنفيذ قرار عدلي.
- ١٩- القيام بزيارة ولی أو عمل ولیمة له (زردة) في جماعة
- بدون إذن خاص أو إطلاق عيار ناري في حفلة عرس أو خطان أو غير ذلك بدون إذن خاص أيضاً.
- ٢٠- فتح أي محل ديني أو مدرسة للتعليم بدون إذن.
- ٢١- رفض الوقوف أمام كوميسار البوليس العدلية بعد الاتصال بالإذن الكتابي بذلك.
- ٢٢- التغافل أو رفض إرسال الصبيان إلى المدرسة الابتدائية إذا كانت المدرسة لا تبعد أكثر من ثلاثة كيلومترات عن محل السكنى إلا لعدن معقول (وهذا لا ينفي إلا في بلاد القبائل البربرية).
- ٢٣- عدم تنفيذ أي أمر صادر من السلطة الإدارية.
- ٢٤- مخالفة القرارات المتعلقة بنظام المياه والآبار، والأودية، والعيون، وقوتوس السقي، زيادة على ما يمكن الحكم به على المعتدي من غرامة.
- ٢٥- قطع شجرة أو أشجار بدون إذن من المتصرف إلا في الحالة التي نص عليها قانون ٩ ديسمبر ١٨٨٥ م.
- ٢٦- رفض إعطاء المعلومات الازمة إلى أجهزة السلطة الإدارية أو القضائية أثناء قيامهم بوظيفتهم، أو إعطائهم معلومات مخالفة للحقيقة.
- ٢٧- تحطيم أو تغيير أو تبديل العلامات الحجرية أو التراثية التي يضعها رجال السلطة في مختلف الجهات. ينظر كتاب الجزائر: ٣٠٧-٣٠٨.
- ٢٨- مظاهر المقاومة الجزائرية: ١٠٩ - ١١٠ بتصرف.
- ٢٩- ينظر مظاهر المقاومة الجزائرية: ٧٩ - ٨٠ بتصرف.
- ٣٠- غادر الشيخ البشير الإبراهيمي الجزائر يوم ٧ مارس ١٩٥٠ م، ووصلها يوم ٢٢ مارس ١٩٥٢ م بتکليف من المجلس الإداري للجمعية لتعزيز العلاقة بالشرق العربي فيما له علاقة بنشاط الجمعية التربوي والإصلاحي.
- ٣١- لمزيد من الاطلاع على هيئة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتنظيمها انظر: جريدة البصائر، السلسلة الثانية: ع/٤، ٧٢، ١٧٢.
- ٣٢- خلاصة المذكرة الإيضاحية التي قدمها الشيخ البشير الإبراهيمي إلىأمانة جامعة الدول العربية، وزارة المعارف المصرية وللمشيخة الأزهر الشريف، عيون البصائر: ٤/٢٤٨ - ٢٥٠ بتصرف.
- ٣٣- ينظر مجلة الشهاب عدد أبريل ١٩٣٦ م: ٤.
- ٣٤- لمزيد من التوسيع انظر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وغيرها مثل: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر: ١٢٧، ١٣٤، حزب الشعب

- الميلي، والبشير الإبراهيمي، ومحمد خير الدين، وأبو يعلى سعيد الزواوي، وباعزيز بن عمر.. فكل نتاجاتهم مكتوبة في صحف الجمعية، عدا الشيخ أحمد توفيق المدنى الذى ألف كتابين، والشيخ موسى الأحمدى نذوات، ومحمد الصالح الصديق، وسليمان الصيد... على الرغم من كونهم من خريجي الزيتونة أو القرويين أو الأزهر...
٤١. قام بجمع أعمال الشيخ الإبراهيمي وتحقيقها ابنه أحمد طالب، وقام كاتب هذه الدراسة بجمع آثار الشيخ العربي بالقاسم التبسي، والأستاذ محمد زغيبة بجمع آثار الشيخ محمد أبو اليقطان، وثمة مشاريع أخرى من هذا القبيل لإحياء تراث رجال الجمعية.
٤٢. ينظر جريدة البصائر: السلسلة الأولى/ س ٢/ ١.
٤٣. مجلة الشهاب، مج ١٤ / ج ٤ / ٢٨٨-٢٩١.
٤٤. ينظر مثلاً كتاب ابن باديس مفسراً.
٤٥. ابن باديس حياته وأثاره: ١٨٨-٩٠، بتصرف، نقلًا عن مجموعة من المصادر الحية الشفهية والمكتوبة والمعاصرة.
٤٦. كلامنا صريحة، مجلة الشهاب، مج ١٢ / ج ٢ / ١٤٥-١٤٦.
٤٧. أقيمت هذه الخطبة بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة بالمعهد الباديسى، ثم نشرت بعدها في جريدة البصائر السلسلة الثانية ع ١٨٧ / س ٥/ ١.
٤٨. ابن باديس، حياته وأثاره: ٩٠-٩٥، بتصرف.
- الجزائري: ٦٧، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية: ١٧-١٨ بتصرف، الحركة الوطنية الجزائرية: ٧١/٣.
٤٩. عرضت فتوى الشيخ ابن باديس على لجنة الفتوى بجمعية العلماء فوافقت عليها، وتبنتها مقرة مضمونها مطلقاً.
٥٠. راجع نص رسالة رئيس المتجمسين التونسيين بالجنسية الفرنسية في جريدة البصائر السلسلة الأولى/ ع ١٠١ / س ٢/ ٥-٦، رسائلة من متجمسي تونس، عن (جمعية المسلمين التونسيين) المتجمسين بالجنسية الفرنساوية الراغبين في الرجوع للجنسية التونسية. مدينة الكاف التونسية.
- ❖ توضيح إدارة تحرير ولجنة الفتوى بجريدة البصائر: ما أكثر ما سُئلنا عن هذه المسألة العظيمة، وطلب منا الجواب عنها على صفحات البصائر، ومنهم حضرة رئيس المتجمسين بتونس (الأستاذ التركي)، وكاتبنا مرتين بكتابين مطولين؛ فأدینا الواجب الديني بهذه الكتابة، ونحن مع ذلك نحترم كل ذي رأي في رأيه، وكل ذي جنس في جنسه، ونقدر لكل ذي قيمة قيمته، ونعلم أنّ في أبناء الجزائر ممن رفضوا جنسيتها، ولم يقتصروا في خدمتها نادمين على ما فرطوا، وما كانوا لهم ناسين.
٤٠. كذلك الشيخ الطيب العقبي، والعربي التبسي، ومبارك

- مزالي، والبشير سلامة، ط١، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٦ م.
- أول صيحة ارتفعت بالإصلاح في العهد الأخير، لمحمد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء الخامس، المطبعة الإسلامية الجزائرية، قسنطينة، ١٩٣٥ م.
- ترجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ، ط٢، الشركة التونسية للطباعة والنشر، تونس، ١٩٨٦ م.
- الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء، لمحمد البشير الإبراهيم، مجلة الشهاب، مج ٧ / ج ٦ / ١٢٥، قسنطينة.
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لأحمد الخطيب، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري، ١٩٨١ م.

- ابن باديس، حياته وأثاره، للدكتور عمار طالبي، ط١، دار اليقظة العربية، بيروت، ١٩٦٨ م.
- ابن باديس رائد الإصلاح التربوي في الجزائر، للدكتور تركي رابح، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٦٩ م.
- ابن باديس مفسراً، لعبد الحميد سلوادي، ط١، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٠ م.
- الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية، ليحيى بوعزيز، ط١، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ١٩٨٨ م.
- إفريقية الشمالية تسير، لشارل أندريله جولييان، تر: محمد

- كتاب الجزائر، لأحمد توفيق المدنى، ط١، دار الكتاب،  
البليدة - الجزائر، ١٩٦٣ م.
- مذكرات شاهد القرن، لمالك بن نبي، ط٤، دار الفكر،  
دمشق، ١٩٨٤ م.
- شأة أفريقية الشمالية، لمحمد صالح رمضان، مجلة  
أفريقيا الشمالية، ع٤/س١/ماي ١٩٤٩ م.
- النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين  
بتونس، ط١، المؤسسة التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٥ م.
- نهضة الحركة الوطنية والدينية الجزائرية، لأندريه  
نوشيه، المطبعة الباريسية، باريس.
- الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، لعبد  
الحميد زوزو، ط١، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،  
١٩٨٥ م.
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لعبد الكريم أبو  
الصفصاف، ط١، مطبعة متحف الجهاد، الجزائر،  
١٩٩٢ م.
- الحركة الوطنية الجزائرية، لأبي القاسم سعد الله، ط١،  
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٠ م.
- حزب الشعب الجزائري، للدكتور أحمد الخطيب، ط١،  
المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦ م.
- الصحف العربية الجزائرية، للدكتور محمد ناصر، الشركة  
الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
- الصراع بين السنة والبدعة، لأحمد حماني، ط١، دار  
البعث، قسنطينة، ١٩٨٤ م.
- في ذكرى رحيل الشيخ محمد نجيب المطيعي، لعبد  
الحميد بن باديس، مجلة الشهاب، مج ١١/ج ١٢٥٤ هـ.
- قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر،  
للدكتور جمال قنان، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،  
الجزائر، ١٩٩٤ م.